بسام الشكعة
رجل وشعب في مواجهة الاحتلال

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

عام ١٩٦٧ نشبت الحرب التي تعد حربًا عدوانية في ٥ يونيو . لكن العالم اعتبرها عملا دفاعيًا وقائيًا حيث كانت إسرائيل مهددة بالإبادة ولم يأت عام ١٩٧٢ حتى كشفت الصحافة الإسرائيلية الحقيقة من خلال تصريحات صحفية أدلى بها جنرالات الحرب السابقون الذين شاركوا في الهجوم وأعلنوا أن إسرائيل لم تكن معرضة لأي نوع من التهديد وأن الهدف الوحيد من الحرب كان فرص الإذعان والاستيلاء على الأرض العربية . والأمر الذي يدعو إلى الدهشة أنه بالرغم من الحقيقة التي تم الكشف عنها ـ من هدف إسرائيل من عدوان ١٩٦٧ ـ إلا أن الصحافة الغربية تجاهلت هذه الحقيقة .. فهذه الصحافة تعتبر أن أي عدوان إسرائيلي على أي أرض عربية مبرر بأن الدولة الإسرائيلية مهددة بالإبادة والتدمير .

وإذا ما أخذنا في الاعتبار حجم الجيش الإسرائيلي ونوعية تسليحه الحديثة والميزانية الضخمة المخصصة للشئون العسكرية ـ فإن مبعث الدهشة هو أن الصحافة الغربية ـ في انحيازها لإسرائيل ـ تتسم بالسذاجة والجهل بالحقائق والغباء إلى أقصى حد .

يقول بسام الشكعة : الإسرائيليون يبررون أفعالهم بالحديث عن الماضي ومعاناة اليهود .

ويضيف بسام الشكعة : ولكن ألم نواجه نحن الفلسطينيون الكثير من المعاناة وما نزال .

أنت ترى أن المشكلة تكمن في أن الصهاينة لم يغيروا طريقة تفكيرهم وما تزال لديهم نفس الاعتقادات التي كانت لديهم منذ قرن مضي .

هم ببساطة لم يدركوا أن العالم قد تغير . الإمبريالية والاستعمار صارا خارج التاريخ .

الدول الأوربية تخلصت من مستعمراتها ولكن إسرائيل تعيد عقارب الساعة إلى الوراء وللمحافظة على تحقيق أهدافها الصهيونية تقيم إسرائيل علاقاتها مع أكثر الدول رجعية في العالم .

الحليف الرئيسي لإسرائيل هو الولايات المتحدة الأمريكية .. وها أنت ترى النتيجة وهي أن المرشحين للرئاسة يمضون في حملاتهم الانتخابية متحدثين عن مشكلات إسرائيل أكثر مما يتحدثون عن مشكلات أمريكا .

ويتحدث بسام الشكعة بسخرية قائلا : سوف يأتي الوقت الذي يأتي فيه مرشح للرئاسة له سياسات متعقلة متوازنة ذات طابع إنساني فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية إذا تم تأجير الرئيس من الخارج .

ويعود بسام الشكعة ليكتسي وجهه بطابع الجدية مرة أخرى قائلا : كل جرائم الحرب التي ترتكبها إسرائيل في الأراضي المحتلة هي نتيجة حتمية للعقلية الاستعمارية القديمة التي لا تتقبل حقيقة أن سكان المستعمرات أحرار ولهم حقوق متساوية كاملة مثلهم مثل غيرهم في أنحاء العامل . ثم يشير إلى المادة ٤٩ من قوانين معاهدة جنيف التي تقرر بوضوح : يحظر طرد الجماعات والأفراد وترحيلهم من أوطانهم وأراضيهم المحتلة مهما كانت الأسباب .

مع ذلك وبعد احتلال إسرائيل للأراضي العربية في ١٩٦٧ وفي عام ١٩٧٢ قامت بطرد ١٧ ألف فلسطيني من وطنهم بحجج وذرائع واهية ولا معنى لها أو زائفة وفي بعض الأحيان بدون أسباب على الإطلاق .

تم طرد وترحيل أعداد كبيرة من الأطباء والمحامين والزعماء من رجال الدين والمعلمين والكتاب والشعراء بدون أي تهم أو محاكمة « هذا لأن الصهاينة أرادوا حرمان الشعب الفلسطيني من أي قيادة » هذا ما يقوله الشكعة مضيفًا : كما قلت

من قبل أنهم يحكمون علينا من خلال مفاهيمهم ويرفضون أن يصدقوا أن الشعب الفلسطيني يرفض أن تفرض عليه ما يفعله . ولكن يفعل ما يؤمن به وفقًا لإرادته الحرة وقناعاته الذاتية .

الشعراء والكتاب الذين اتهموا بجريمة الكتابة عن العرب أو الفلسطينيين أو في القضاياالقومية تعرضوا للقتل أو في بعض الحيان كانوا يسجنون بدون أي اتهام أو يبقون في منازلهم رهن الاعتقال الجبري .

أما هؤلاء الذين كان يعيشون في المنافي فكانوا أيضًا يغتالون ويقتلون وهناك واحد من أهم الكتاب الفلسطينيين الموهوبين وهو الأديب غسان كنفاني الذي قتل بتفجير سيارته في بيروت عام ١٩٧٢ .

ولم يخطر في ذهن بسام الشكعة مطلقًا أنه قد يتعرض للمعاملة بنفس الطريقة . واحد من قصص غسان كنفاني التي عندما نقرأها تنساب الدموع من عيوننا مثلما تنساب من عيون الشعب الفلسطيني . القصة بعنوان : أرض البرتقال الحزين .

« بالنسبة لأمك فقد نظرت إلى أشجار البرتقال في صمت وكل أشجار البرتقال التي تركها أبوك من خلفه لليهود الآن يجنون ثمارها .

كل ذلك قد ينعكس في عينيه وعلى وجهه بينما تنساب الدموع من عينيه وتسقط على خده وهو يواجه الضابط . حين وصلنا إلى سيدون أصبحنا بلا مأوى بلا منازل تم اعتقال وترحيل آلاف الفلسطينيين بدعوى أنهم ينتمون إلى (المنظمات الإرهابية ) وقد صرح أعضاء في الكنسيت الإسرائيلي (البرلمان)الذين شاركوا في مذبحة دير ياسين وكفر قاسم أنه من الإساءة لأمن دولة إسرائيل أن تكون هناك تعاملات مع أعضاء ينتمون لمنظمات فلسطينية أو حتى مجرد التعبير عن وجهة النظر القائلة بأن إسرائيل ليست بأكملها دولة يهودية أو عبرية .

ولم يكن الإسرائيليون يقتنعون بأن أغلبية السكان الفلسطينيين في الأراضي المحتلة يدعمون منظمة التحرير الفلسطينية P.L.O أو حتى أنها تحظى بمساندتهم وأنها تمثلهم . لقد كان من المستحيل أن تجبر الشعب الفلسطيني على أن يفكر بالطريقة التي أرادها لهم الصهاينة وبالتالي فقد زادت الضغوط عليهم .

ولقد حاول الإسرائيليون أن يجعلوا من الشعب الفلسطيني شعبًا من العملاء والخونة ولكن حين فشلت هذه الجهود تعرض الشعب الفلسطيني لوسائل العقاب الجماعي في مدن وقرى بأكملها ، مما أعاد إلى الذاكرة في كثير من الحالات أساليب القمع التي تعرض لها اليهود من النازية عام ١٩٣٠ .

رغم ذلك فقد ارتفعت أصوات اليهود بالاحتجاج عالية بسبب المعاملة السيئة التي تعرض لها اليهود الأوربيون ولكن هذه الأصوات لم ترتفع بالاحتجاج إزاء ما يتعرض له الفلسطينيون .

في ذلك الوقت كانت أحداث تلك الأيام مخيفة ـ كما يقول بسام الشكعة ـ الذي لم يكن يدرى حينذاك أن ما سوف تأتي به الأيام والأعوام القادمة .. هو الأسوأ .

لقد كان يتم فرض حظر التجوال لعدة أيام وفي بعض الأحيان لعدة أسابيع . كان الفلسطينيون محاصرين وكانوا في بعض الأحيان يجبرون على البقاء في العراء ويتعرضون طوال الليل لظروف الطبيعة القاسية .

ساد أسلوب التعذيب مع الأغلبية من الشعب الفلسطيني وخاصة هؤلاء الذين اتهموا وأدينوا في تهم أمنية وانتزعت اعترافاتهم بأساليب تعذيب وحشية .

وباستثناء ما أشارت إليه جريدة صنداي تايمز فقد تجاهلت الميديا الغربية كل ذلك ورغم هذا فقد تعرضت الصحافة الإسرائيلية لكثير من حالات التعذيب .

في إبريل سنة ١٩٧٨ نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت ـ على سبيل المثال ـ

تصريحات لضابط شرطة إسرائيلي أعلن فيها أن التحقيقات تستخدم فيها وسائل تعذيب مختلفة مثل الصدمات الكهربائية وغيرها ويمكن أن تستمر في أي وقت وليس لها نهاية .

أدلى الضابط بهذا التصريح للصحفي أورلى ازولاي بكثير من الصراحة .ز وبكثير أيضًا من الاستعلاء .

مجموعات كبيرة من الفلسطينيين كانوا يتعرضون للضرب وكانوا غالبًا من تلاميذ المدارس بدون أي أسباب .

ملاك الأراضي كانوا يطردون من مزارعهم وأراضيهم بذريعة الأمن دون أن تدفع لهم أي تعويضات . وبعد ذلك تسلم الأرض للمستوطنين .

المحاصيل الزراعية للفلسطينيين ـ سواء داخل إسرائيل أو بالأراضي المحتلة ـ كانت ترش بالمبيدات السامة والمنازل كانت تدمر كعقاب لهم على اتجاهاتهم العدوانية رغم أنه لم توجه لهم أي تهم محددة .

في ٦ نوفمبر ١٩٧٥ على سبيل المثال نشرت جريدة التايمز أن السلطات الإسرائيلية قامت بنسف أربعة منازل مستخدمة في ذلك البلدوزورات والمواد المتفجرة في قرية تبعد عن بيت لحم مسافة ميلين ناحية الجنوب . وهذه المنازل تخص بعض الشباب الذين تم القبض عليهم لاستجوابهم بتهمة وضع عبوات ناسفة . ويذكر التقرير أنه لا أحد من هؤلاء الشباب وجهت إليه تهمة شرعية فالرجال الأربعة قاطنوا المنزل مجرد سكان ولم يكونوا ملاكا لها .

ويشرح التقرير أنه إلياس فريج عمدة بيت لحم معلق على الموقف بمرارة قائلاً : إن الإسرائيليين يطالبوننا بالتعايش معهم ولكنهم بعد ثماني سنوات من الاحتلال ما زالوا يقومون بنسف وتدمير منازل السكان العرب .

هناك عائلات بأكملها لديها أطفال ألقي بها في الشوارع حين دمرت مساكنهم وفي أغلب الحالات كانت هذه المنازل ملكًا للأقارب : خالات وعمات وأعمام وأبناء عم وأجداد .

في ١٩ سبتمبر ١٩٧٧ قامت السلطات الإسرائيلية العسكرية بتدمير منازل والد وعم هادر سلام (والتي لم يعيش فيها أبدًا) وقد عاد من الأرجنتين ليتزوج وحين حقق معه اعترف تحت ضغط التعذيب أنه التقى في الخارج بأحد أعضاء حركة فتح . وكانت هذه هي جريمته الوحيدة .

◆◆◆



Obeikan.com